

دمية القصر

إذا عَرَّتْ مَضْجَعِي طُمِيَاءَ جَائِعَةً ... تَشْرَبْتُ رَوْ نَقِي وَاسْتَأَكَلْتُ سِرْمَنِي .
ومنها : .
كالمشرفيَّ إذا أُغْمِدْتُ فِي فُؤْرُشِي ... وَإِنْ نُفِضْتُ مِنَ الْحُمَّى فَكَالِيَزَنِي .
ولو فشا خَبْرُ مِمَّا مُنِيتُ بِهِ ... بِأَرْضِ خَيْرِ ظِلَّاتٍ مِنْهُ فِي مَحَنٍ .
بِمَ التَّعَلُّلِ لَا أَهْلِي لَدَيَّْ وَلَا ... عِنْدِي نَدِيمِي وَلَا كَأْسِي وَلَا سَكَنِي .
الشُّكْرُ دَأْبِي لَسْتُ وَالْكُفْرَانُ لَسْتُ لَهُ ... سَيِّئَانِ فِي جَذَلٍ أَصْبَحْتُ أُمَّ حَزَنٍ .
قلت : فزارني هذا الشريف عائداً وكان التقائي به سلامة سائغة الأذيال أهديت إليَّ
وعافيةً سائغة الزُّلال مُنَّ بها عليَّ . وبقيَ في قيد الأنعام النظامي مدة بنيسابور
رافلاً في سرايل مَنحه ناطقاً بأغاريد مِدَحِهِ . يتدرَّع في رياض الأمانِي طلالة وينتجع
لصَيْدِهِ بِلَالِهِ . فما تماكس أن تماسكت أحواله وتلاقحت فتلاحقت أُمُواله وخرج في خدمة ركا به
العالي إلى أصفهان فاستوفى بها أَكْلَهُ واستغرق الرزق كله واقتطعتُه المنيَّة دون الأُمْنِيَّة
ولحق باللطيف الخبير : " وما تدري نفسُ ماذا تكسب غداً وما تدري نفسُ بأيِّ أرضٍ تموت " .
فمما مدح به صاحب نظام الملك حرس □ نظامه وأدام أيامه قوله من قصيدة أولها : .
نوالُكَ مِنْ قَطَرِ السَّحَابِ أَنْفَعُ ... وَقَدْرُكَ مِنْ مَجْرَى الْمَجَرَةِ أَرْفَعُ .
وهمَّكَ تَفْرِيقَ الثَّرَاءِ وَإِنَّمَا ... تَضُمُّ بِهِ شَمْلَ الثَّنَاءِ وَتَجْمَعُ .
يُنِيلُكَ مَا تَبْغِي مِنَ الْمَجْدِ نَائِلُ ... عَمِيمٌ وَقَلْبٌ قُلُوبُ الرَّأْيِ أَصْمَعُ .
لَقَدْ ضَلَّ مِنْ يَرْجُو سِوَاكَ مِنَ الْوَرَى ... كَمَا ضَلَّ بِالْبَدْرِ الْغَوِيُّ الْمَقْنَعُ .
وَأَسْعَدُ خَلْقَ □ سَاعٍ مُشْمَرٌ ... رَكَائِبُهُ تُحْدِي إِلَيْكَ وَتُسْرَعُ .
إِلَيْكَ حَثُّنَا كُلَّ وَجَنَاءَ جَسْرَةٍ ... مِنَ الشَّامِ تَجْتَابُ الْفَلَاةَ وَتَذَرُّ .
سَفَائِنُ آلِ تَكْرِيلٍ كَأَنَّهَا ... إِذَا أَلَّهَا الْحَادِي الذِّعَامُ الْمَفْزَعُ .
وكتبت إليه رحمة □ عليه قصيدة أولها : .
فَرَعْتُ ذُوَابَةَ الْمَجْدِ الْمَنِيفِ ... بِمَا اسْتَطَرَفْتُ مِنْ وَدِّ الشَّرِيفِ .
وكان معجباً بهذا المخلی ينسبني فيه إلى الإبداع في الاختراع : .
وَقُلْتُ وَقَدْ سَمِعْتُ بِهِ لَصَحْبِي ... صَلُّوا بِعُرَى الذِّمِّلِ عُرَى الْوَجِيفِ .
فَسِرُّنَا نَنْشَقُّ الْقَيِّصُومَ وَرَدًا ... وَنَحْسُو أَكْؤُسَ السَّيْرِ الذَّفِيفِ .
وليس لنا النديمُ سِوَى السَّعَالِي ... وَلَيْسَ لَنَا الْغِنَاءُ سِوَى الْعَزِيفِ .
فلمَّا أَنْ أَنْخَتُ بِهِ رِكَابِي غَفَرْتُ جَرَائِرَ الزَّمَنِ الْعَنِيفِ .

ولفَّ القرب بيتَيْنَا جميعاً ... فنحنُ الآن من باب اللّـفّيف .

ومنها :

أقول له ولم أنفسُ بنفسِي ... عليه ولا التليد ولا الطريف .

فِدَىَّ لك ما تُزَرُّ عليه قُمْصِي ... وقُمْصِي لا تُزَرُّ على سَخيف .

فإني منك في روضٍ أريضٍ ... دلّلتُ به على خِصبٍ ورَيفٍ .

ومن زَهَرَاتِ حطّاك في ربيعٍ ... ومن ثمرات لفظك في خَريفٍ .

وكم عاشرتُ من عُصبٍ ولكنّ ... تَخِذْكَ من ألوفهمُ أليفٍ .

وما أنا من رجالك في القوافي ... وأصلُ اللعِبِ عِرفانُ الحريف .

وأنتَ إذا ركبْتَ الصعْبَ منها ... سبقْتَ إلى مَداكٍ بلا رَدِيف .

ولي حَشْفُ وبي تطفيف كَيْلٍ ... وها حَشَفِي مع الكَيْلِ الطفيف .

فإن تَرَدُّدَ عليّ فَرَهْبَتِي من ... وإنّ تُحسِنُ إليّ فرغبتِي في .

فأجاب عنها بقصيدة على عدد القوافي من غير تكرار قافية أورَدَتْهَا أنا وهي :

رعاكَ اِمن يَقِيطِ أريبٍ ... يُسامقُ كلَّ مَنَقبَةٍ مُطيفٍ .

ومن يُنبوع علمٍ مُستَماحٍ ... غزيرِ الفَهْمِ عن يَمٍّ خَسيفٍ .

قَرنتَ الفضلَ إذ برّزْتَ فيه ... إلى أصلٍ بلا وَصْمٍ شريفٍ .

ومثلُكَ يا عليّ إلى المَعالي ... تَجوزُ مُبرِّزاً أمدَ السَّليفِ